مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 1083-1093

الأمن الثقافي واللغويّ في ظل العصر الرقمنة

د. أحمد سليمان سعيد بشارات
جامعة القدس المفتوحة
absharat@qou.edu

مستخلص البحث:
الثقافة إطار عام يجمع أبناء الأمة الواحدة، ويوحّد تفكيرهم، وبجعلهم يذودون عن مكوناتهم الثقافيّة. ويتشكل الأمن الثقافي من إحساس القلب ووعيه بالانتماء الى أمة أو شعب معين؛ ولذا تحافظ الثقافة على لحمة أبنائها، وتتنوع الممارسات الثقافية وتتقاطع مع الأمم في ظل عصر الرقمنة، ومن خلال الهوية الثقافية تثبت الأمة ذاتها. ووجودها وتحصن هويتها الذاتية والحضارية والتاريخية.
والرقمنة الثقافية بما تحمل من حسنات وثمار طيبة إلا أنها تحمل المخاوف على حضارات الأمم ومكتسباتها، وقد يختلط الحابل بالنابل، وتسود صبغة القوة على الثقافة، وتنتشر العولمة من أوسع أبوابها.ويكمن الخطر على أمتنا من ضعفها في مجالات التقدم بجوانبه المتعددة، من هنا سيكون موضوع الدراسة الأمن الثقافي العربي الذي تتطرق إلى: الأمن اللغوي، والثقافة المتكافئة، والعولمة وهي ثقافة التطبيع مع السيطرة والهيمنة. وستقدم الدراسة بعض الأمثلة التي حدث فيها الخرق الأمني الثقافي وهي: وسائل التواصل الاجتماعي، المجالات الحياتية، المؤسسات التعليمية.
الكلمات المفتاحية: الأمن الثقافي، الرقمنة، العولمة، الأمن اللغوي.

المقدمة:
اللغة حاضنة الحضارات والأفكار وهي المعيار الحقيقي لثبات الأمة وقوة هويتها وإرثها الحضاري، وتحمل تاريخ الأمم وماضيها ومستقبلها، وهي قناة الاتصال الأولى التي تحوى وسائل التواصل البشري بشتى أنواعها وأصنافها، وأن التطور التكنلوجي في مجال الاتصال والتواصل فتح آفاقاً كثيرة للبشرية، ولكن اللغة تبقى هي الفاصل في مدّ قنوات الفهم ، وهذا التنوع فتح أبواب التأثير والتأثر على مصراعيها لتتفوق القوة الصناعية والتكنلوجيّة على حضارات الشعوب وتحاول إذابتها بثقافتها وصبغتها بأفكارها ، فيطغى الغالب على المغلوب . والأمة العربية - في هذا الزمان - أحوج من غيرها للحفاظ على إرثها في ظل الرقمنة الرقمية وتربص المستعمر الذي يقبع خلف ذلك التقدم، ويرمي بثقله ليشكل العالم بلونه وفكره ليسهل التحكم والسيادة، وتسود العولمة وتنقاد الأمم .
ويكمن الخطر على أمتنا من حالها وضعفها، وسيطرة القوى العالمية المتقدّمة جعلت من لغاتها لغة رائجة، فسكنت بقية اللغات في أذهان المجتمعات غير الصناعية، وذاعت مصطلحاتهم المتقدمّة، وانتشرت لغاتهم، وارتبطت الوظائف بإتقان لغاتهم. إننا اليوم أمام تحد كبير يفوق قوة المحتلين بأسلحتهم، وهذا التحدي يغزو البيت والمدرسة والمسجد والشارع والطالب والمعلم والصغير والكبير، ويحاول إبراز قيّمة وعاداته التي لا تمثل واقعنا. من هنا كانت اللغة تحتضن الجميع الثقافي والحضاري واللغويّ، فاللغة يعمل بكل طاقاتها؛ ولهذا عندما نتحدث عن اللغة نتحدث عن اللغة والثقافة والعولمة.

الأمن اللغوي

الأمن اللغوي يعني أن تكون اللغة آمنة في دلالاتها وإيحاءاتها، وأن تكون آمنة من جهة ألفاظها وتراكيبها وبنائها، وتكون اللغة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية سليمة، ووسائل الإعلام الحديثة كالشابكة المعلوماتية (الانترنت)، ومواقعها المتعددة، مثل: (الانستغرام) و(الفيس بوك) و(تويتر) و(بيرسكوبي)، و(الكيك) ، ومن أشهرها (اليوتيوب) وغيرها من المواقع.

(آل الهادي،(2019)، ص160) . لقد أصحبت الخصوصيات الوطنية في مهب الريح، خصوصا مع انتشار وسائل التواصل السهلة، كالأجهزة الخلوية المحمولة والأجهزة اللوحية التي يستطيع الشخص الولوج من خلالها بأي معلومات أو محتوى رقمي ، ومع طغيان الثقافات الأجنبية على الشبكة العنكبوتية تصبح احتمالات اكتسابها وجعلها جزءاً من الشخصية كبيرة جداً خصوصاً لدى المجتمعات غير المحصنة بالهوية (مجموعة من الكتاب، 2019، ص8)، ومطلوب من الثقافات الوطنية أن تكون قادرة على الحفاظ على بقائها في وجه مساعي التوحيد الثقافي القسري (مجموعه من الكتاب، 2019، ص71) وردّ الاعتبارات للهويات الوطنية، وإعادة بنائها يتطلب إعادة الاعتبار للثقافات الوطنية. إنّ وقوع المجتمع في هوة التبعية السياسية والجهل والثقافات والمخلوطة، يساهم في جلب الفوضى ويؤثر على الأمن الذي يحافظ على القوانين، بصرف النظر عن الفروق الفردية ، ومن هنا تتحول الثقافة إلى أداة أمنية تساعد في درء الخطر والتطرف، فالثقافة نور يستضاء به لا يقبل الانغلاق أو التبعية ولا يقبل جهلاً أو قبحاً أو فسادا . (مجموعة من الكتاب، 2019، ص91).

إذا كان إغناء العربية ومسايرتها للتطور هدفاً جليلاً، فإن حماية العربية هدف له الأولوية في زمن يستهدفها الجاهلون كما يستهدفون الحضارة، إننا كأمة عربية دائما نتحدث عن الأمن الغذائي والاجتماعي .... ولا نتحدث عن الأمن اللغوي والثقافي. إنّ حضارة الإنسان العربي بدأت من لغته وأثرها في تحضره الفكري والوجداني ، وكما قال ابن فارس: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم، ونسائكهم، وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوالهم ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت.(ابن فارس، ص44).

وحسبنا أن نفهم قول رسولنا الأكرم في أهمية اللغة في قوله : " ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم، وإنما هو اللسان، من تكلم العربية فهو عربي"، وهذا الحديث بوابة الأمن والأمان، فاللغة تحمي الهوية من الذوبان ، وطريق التوصل ، وجمع الأمة على العربية يكون بلسانها.

منذ أن ابتليت البلدان العربية بالاستعمار الأوروبي كان التحدي الحضاري أقوى الأسلحة، وكان موضوع اللغة من أكثر جوانب التحدي وضوحاً فلقد باتت اللغة مهددة بالغزو من اللغات الأجنبيّة ، فنصب الصدام الحضاري للعربية الفخاخ ، وحال في طريق نهضتها الشراك، ووضع الخطط، كي يمنعها من أداء وظيفتها في المجتمع، وحاول استبدالها ، وحول التعليم باللغات الأجنبية، وجعل اللغة الدخيلة هي لغة الخطاب والتجارة والتعليم، وبرزت المخاطر على اللغة من جوانب عدة ولذا يتوجب علينا دفع المخاطر لتحقيق أمننا اللغويّ، وذلك من خلال وضع خطط لدرء المخاطر التالية:

أولاً : جعل الاستعمار لغة الدواوين هي اللغة الأجنبية، وأنشأ طبقة تدوين لهذه اللغة من الناحية الثقافية واللغوية ، وأنشأ طبقة متعلقة بالعرب، وتنتمي إليه ثقافيا، وتنظر بازدراء إلى ثقافتنا العربية والإسلامية، ولغتها العربية، فلم يضمن ولاءها اللغوي وحسب، وإنما ضمن ولاءها الأيديولوجي، مما أحدث انشقاقا في صفوف الشعوب، وقضى على وحدتها الوطنية، وتسبب في إثارة الفتن والنعرات.

ثانيا : يعاني -العالم العربي وفلسطين على وجه التحديد - أوضاع تشبه إلى كبير أوضاع البلاد العربيّة في نهاية القرن التاسع عشر، حين دخل الاستعمار إلى المشرق العربي وفرض لغته وأغرى بها الجماهير، وجعل إجادتها شرطاً من شروط الحصول على لقمة العيش، وجعلها لغة الصفوة والحظوة ، وأقصى العربية من الإدارة والتعليم ومجالات حيوية. فما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه الأجواء الثقافية لعهد العولمة الحاضر بالأجواء الثقافية لعهد الاستعمار الغابر
(عمرو وهدان ،(2010)، ص98).

ونحن في وطننا فلسطين، أوقعت علينا الدول الاستعمارية ما أرادت، فالانجليزية مجال واسع لكسب لقمة العيش، والتعامل مع المؤسسات المانحة شرط من شروط العمل، واللغة الانجليزية والفرنسية تدرس في مدارسنا جنبا إلى جنب مع اللغة الأم، ومما يزيد المخاوف أن التدخل الأجنبي وصل به الحد إلى التدخل في شؤون حياتنا. والحديث دائماً يدور حول مصطلحات أوجدها لتعيش في عقولنا، فأخذت طريقها إلى الشارع والبيت لتصبح جزءاً من منظومة اللغة المستعملة.

ثالثاً: المدارس التي تدرس باللغات الأجنبية :

ظنّ قسم من الناس أن إتقان اللغة الأجنبية مفتاح سحري للدخول إلى الحضارات العالمية، وملامسة التقدم الحضاري ، فأسرعت البلدان إلى إعطاء تراخيص للمدارس أن تدرس بلغات أجنبية فدخل خطر المستعمر من أوسع الأبواب، وشرعنة وجوده بثقافة وأفكار ، فهاجم الأمة من الداخل ، وجعل لها مناصرين منه أبناء الأمة. ففي مصر مثلاً رفض سعد زغلول الموافقة على عودة اللغة العربية إلى المدارس، وقال : الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الانجليزية إلّا لتقوي التلاميذ فيها، ويمكنهم الاستفادة من المدنيّة الأوروبية، ويفيدوا بلادهم. وهذه الإساءة إلى العربية والشرعنة الاستعمارية تنم على ضيق أفق ، فاللغة أهم مظاهر السيادة ، فإذا استُغني عنها بلغة وافدة صارت الهيئة اللغوية لغير اللغة الأم ، ومن ثم تسقط الهوية، ويضيع الإطار والسياج المنيع للأمة.

رابعاً : أن تلتزم المؤسسات الحكومية وغير الحكومية بأن تكون اللغة العربية المستخدمة في جميع الوثائق المختصة لإعلام المستخدم أو المستهلك : الملصقات، الكراسات، المنشورات الدعائية، الكتلوجات، الكتيبات الإعلامية، إيصالات التسلم والتسليم، شهادات الضمان .

خامساً: وضع المجتمع المحلي في خضم إشكالية اللغة، والحفاظ على الموروث الحضاري والديني، وإظهار مشكلة المساس بالأمن بشتى أنواعه، عند الاستخفاف أو الاستهزاء بلغتنا الأم، ونفرض على المؤسسات المجتمعية أن تكون قوائم وجبات الطعام باللغة الأم ، والفواتير، وبراءة الذمة، وإيصالات الدفع، وتذاكر التنقل، وعقود التأمين والإيجار، وإيجاد برنامج عربية للحاسوب، وكل ما يتعلق بالأمور الحياتية فهي تحمي الأمة، وتحافظ على شخصيتها، وهويتها في عصر العولمة، ورياح التغيير القادمة.

سادساً : والفلسطينيون يختلفون عن أمتهم العربية ، بأنهم لا زالوا تحت احتلال ، واللغة العربية تهاجم بأكثر من جهة فالعبرية والانجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات، وتدخل الأوساط المجتمعية في طرق كثيرة ، وتتم المحاربة بطرق أكثر من احتلال الأرض فهناك تهويد لأسماء الأماكن والمدن، ولغة دولة مختلفة تفرض نفسها بلغتها ومعاملاتها، ودخلت أسماء الأماكن والمحلات التجارية والشوارع لتأخذ أسماء بغير لغتها الأم إنها حرب التأصيل وترسيخ هوية المحتل الذي لم يكتف بسرقة الأرض والحضارة ، بل انتقل إلى تسييج الفكر بأفكار لا ترتبط بالواقع.

إن الذين ظنوا أن اللغات الأجنبية هي الطريق الأمثل للتقدم مخطئون ففرنسا دافعت من لغتها، وأنشأت رابطة الدفاع عن اللغة الفرنسية ، واسبانيا بلد السياحة لم يغيّروا لغتهم من أجل السياحة،

واليابان بدأت نهضتها بشتى المجالات مع أنها ضعيفة بالانجليزية إلاّ أنها من أفضل البلدان تقدما، وما أنجزته هذه الدولة أذهل العالم. وهذه الدول وغيرها لها تقدمها التقني والعلمي.

إن أمر اللغة العربية عظيم ليس بهين، فلا تترك لمستثمر أو صانع أو تاجر عملة، أو حلاق ، فهذا الخطر بعينه على قيمنا ولغتنا وشخصيتنا.(المرزوقي، علي الهادي2018، ص7).

سابعاً : النظام التعليمي والمنهاج

النظم التعليمية العربية نظم تقليدية تابعة للنظام السياسي ، تعمل ومن توجيهاته، ووفق رغباته وأوامره، فالمشاركة الشعبية في المناهج تخطيطاً وتمويلاً وتطويراً لا تزال غائبة عن معظم النظم العربية، فالنظام التعليمي يعكس تطلعات الحكومة. (سامي محمد نصار، (2005)، ص196)

فالمعلومات التاريخية لها دور في تعميق شعور الأفراد بحقهم وشرعيتهم وبصحة وسلامة القيم التي يؤمنون بها، والمنهاج العربي فيه تهميش للقضية الفلسطينية والحق العربي في فلسطين. (سامي نصار- (2005م)، ص198). ووجدنا أنفسنا مقيدين بشروط المحتل، وابتعد المنهاج عن المصطلحات والمسميات الوطنية، ولم يتعرض لتاريخنا كثيراً مم ينعكس سلباً على أجيالنا الواعدة.

والحق أنه يجري تحسين صورة إسرائيل، وتجسيد القيم العالمية في مناهج التعليم العربية، وتهميش مفاهيم العروبة والوحدة العربية والإسلامية والإرث الحضاري العربي في مناهج التعليم العربية.

الأمن الثقافي:

يتضمن الأمن الثقافي مصطلح الأمن وهو: توفير الجو الآمن لتداول الحريات التي تمارسها، ودلالته تشير إلى توفير الحماية المطلوبة. والثقافة تتضمن النشاطات المتعددة التي ينتجها الفكر عبر التاريخ، لذا تعد الثقافة قوة لا يستهان بها في مختلف العلاقات والشؤون، واللغة غير مفصولة عما تحصّله من مضامين وتوجهات وأفكار ومن هنا نقول: إن اللغة والثقافة وجهان لعملة واحدة .

(أحمد عزوز ، 2018، ص 9).

الأمن يعني عدم الخوف ، قال تعالى :" الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"(سورة قريش، آية 4)، والخوف على اللغة أي اتخاذ التدابير العلمية والموضوعية لصونها من كل انحراف في نظامها التواصلي سواء من حيث أهدافها أو مفرداتها أو تركيبها . وأما الثقافة الغربية فهي كل المعارف التي تعزز وتعني الشعور بوحدة الأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وتجعلها قادرة على بناء نهضتها في الحضارة الإنسانية (أحمد عزوز، (2018) ، ص102-103)

تعريف الثقافة:

الثقافة طريقة كاملة للحياة لدى مجتمع معين، حيث يتم تعلمها وتقاسمها بين الأفراد، فالثقافة رمزية تكتسب بالتعلم، وتشكل مظاهر للمجتمع الإنساني، (هارلمبس، (2010)، ص7)

فالثقافة شديدة الارتباط بفكرة الحضارة، حيث تكون حضارة بعض المجتمعات أكثر من أخرى، ويرى (رالف لنتون) أن ثقافة المجتمع هي طريقة حياة أفراده وهي مجموعة الأفكار والعادات التي تعلموها وساهموا فيها ثم نقلوها من جيل إلى آخر . (هارلمبس، (2010)، ص8)

وعرفت اليونسكو الثقافة على أنها كل ما يتصل بالإنسان فكراً وخلقا وبدنا. (الضبع، محمود، (2016) ، ص9). وليس المقصود في حديثا عن الأمن الثقافي واللغوي أن نوصد الأبواب في تعلم اللغات أو الوقوف عند طوفان الثقافات عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو تقيد الحريات اللغوية والإفادة من أفكار الآخرين بل المطلوب أن تتحسن اختيار ما ينفعنا مما تشمل عليه الثقافات واللغة ويلحق الأذى بنا في طريق الغالب مولع بالمغلوب في قلته ولغته وعادته. (أحمد عزوز، 2018، ص 20).

الغزو الفكري الثقافي حملة خطيرة ؛ لأنه تغيير يجري داخل العقول والقلوب ، ثم ينتقل إلى الأخلاق والعادات والتقاليد، ويخطط له علماء النفس والاجتماع وجهاز الاستخبارات وإدارات الإحصاءات المختلفة، التي تقوم بها الدول الغازية.(المرزوقي، علي الهادي 2018، ص 9).

الهوية والثقافة

الهوية مفهوم اجتماعي نفسي تشير إلى كيفية إدراك شعب ما لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين، وهي تسند إلى مسلمات ثقافية عامة، أو هي مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في مدّة زمنية معينة، والتي تولد الإحساس لدى الأفراد بالانتماء لشعب معين، والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد. ومن المفاهيم التي قدمتها (اليونسكو) أن الهوية الثقافية تعني أولا الأفراد ينتمون إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية بما لهم من قيم أخلاقية وجمالية تميزها. (السيف، (1435)، ص5).

ويمكن رصد السمات الفارقة للهوية الثقافية العربية من خلال جوانب عدة، منها : ((الضبع، محمود، (2016) ، ص18-23)

أولا: اللغة: ويشترط في اللغة لتكون هوية أن يكون حاملها ملماً بها استماعاً وتحدثاً ونطقاً وكتابة.

ثانيا: الأعراف والتقاليد : العربية لها أعراف وتقاليد عريقة ، منها ما سجلته الآداب والفنون من قصص وحكم وأمثال وعادات وتقاليد.

ثالثا: الموروث الثقافي : التراث العربي يمثل المرجعية للفكر الثقافي العربي، ولكي يعبر عن الهوية الثقافية يجب أن يكون الفرد ملماً بجملة جوانب الحياة.

رابعاً : المعتقد الديني : وهذا أهم ملامح الهوية الثقافية، ويتجسد في المعاملات والأفكار.

خامساً : الأشكال المادية للحياة، ترجمة للثقافة السائدة في مجالات الحياة، مثل: طرق المأكل، والمشرب، والملبس، وطرق الاحتفالات، والأعياد، والأفراح، وطرق التعبير عنه الهزائم والأحزان، وأشكال البيوت وأشكال العيش اليومية.

الهوية مُعْطى حضاري وافد من التاريخ تتوسل به السياسة فتتكئ عليه أو تستثمره أو تناور به، واللغة معطى وظيفي يتحقق في الزمن الراهن، وإن وفد من الأزمنة المواضي، تثبتها السياسة على أصولها أو تجمع بها نحو مصائر مغايرة . إن اللغة أمر جليل ، ولولا خشية المظنات واتقاء انفلات التأويل لقلنا: إن اللغة أجلّ من تترك، والذي يغوص يوماً بعد يوم في أسرار العلاقة بين آليات التعبير وآليات الإدراك قد أمسى مهتما بقضية (موت اللغات)، ما من شك أن غياب الحقائق يفضي إلى تعطل القدرة على استشراق التاريخ وعلى استنظار محطاته القادمة. فالأمة العربية لا تزال تعمل على ضياع هويتها، فالعدو الأول الذي يجهز على العربية، العامية التي تغزو قلاع التعليم، ومند زمن ليس بقريب. (المسّدى،(2014)، ص259-262)

إنّ الترصد المنظم للغة العربية يتخذ شكل الحرب الصامتة تتكشف حينا وتتقنع أخرى، وهناك قلق حقيقي يساور كبار المهندسين الذين يرسمون خريطة الإستراتيجية الكونية، ومداره احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل المنظور فضلاً عن المستقبل البعيد، فاللسان العرب هو اللغة القومية لما يقارب (370) مليوناً يضاف إليهم مليار ونصف من المسلمين غير العرب يتوقون إلى اكتساب العربية. والعربية التي احتفظت بمنظومتها الصوتية والصرفية والنحوية حوالي سبعة عشر فرقاً تخيف العالم. (المسّدى،(2014)، ص264-265) إنّ المعركة الحضارية صراع بين الثقافات وتطاحن بين الهويات ، وهي تقاتل على مراكز النفوذ اللغوي بلا هوادة، وتنطوي السيادات الوطنية، فاللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي، وهي السيف الأمضى في الاختراق النفسي، وهي

التي تضع الهوية، ولا هوية بغير ثقافة ولا ثقافة بغير لغة ، وحوار الثقافات عنوان نبيل يتستر خلفه صراع الثقافات، فتفتيت القوميات المتماسكة، وخلخة الثقافات الراسخة، وإرباك اللغات ذات المتانة هي حقائق الحرب الثقافية، وهي طلائع الحرب اللغوية. (المسّدى،(2014)، ص266-267)

نحن نبحث عن استزراع الوعي اللغوي من خلال الوعي السياسي، نحن نطمح أن يتصالح العرب مع هويتهم بمجرد أن يتصالحوا مع لغتهم، أفلا ينظرون إلى عدوهم كيف بعث الحياة في لغته بعد الممات؟ فلم تمض خمس سنوات على اغتصابهم حق الأرض بعد قرار التقسيم (1947) حتى بادروا إلى إنشاء مجمع اللغة العبرية (1953) ثم كوّنوا مجلساً أعلى يضم نحو أربعين لجنة متخصصة في كل الفروع العلمية والأدبية والفكرية، وتهتم بمسايرة اللغة للتطور المستمر واستحداث المصطلحات ، وما يتفق عليها ينشر في الصحف الرسمية، ويصبح العمل به إجبارياً في الدوائر الحكومية، والمؤسسات المدينة، والجامعات، ودور العلم، وبذلك بعثوا الحياة في اللغة العبرية بعد أن شبعت موتاً، وخلقوا لها كياناً بعدما كانوا أثراً بعد عين. (المسّدى،(2014)، ص277)

ولو سألتني عن المناخ الثقافي الملائم لقلت الكُل أُمة تريد أن تنهض " اقرأ " (سورة العلق ،آية1) ، التي تبنى على إعلاء شأن العقل، وتأكيد مسؤولية الإنسان :" ولا تقف ما ليس لك به علم" (الإسراء،آية 36)، وتخرج بنتائج أهمها " بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " .(سورة الشعراء،آية74)، وهذا يعني تحرر الإنسان من كل أشكال العبودية (محمد عدنان سالم، 1997، ص185-186) ومن هنا نشير إلى تعقد العلاقة بين الثقافة واللغة، فاللغة نتاج الثقافة إذ إن اللسان المستخدم في أي مجتمع يعكس الثقافة العامة الخاصة بالسكان. فاللغة جزء من الثقافة وتمثل عنصرا من عناصرها. واللغة شرط الثقافة، إذ إن الفرد يكتسب ثقافة مجموعته بواسطة اللغة. (كوش (2007)، ص 76).

التكافؤ الثقافي في ظل الرقمنة

انتشرت في العالم المعاصر مصطلحات الرقمنة والكتابة الرقمية والإبداع الرقمي والكتاب الإلكتروني، والرقمنة عملية نقل أي صنف من الوثائق من النص المكتوب من صيغته الورقية إلى صيغة رقمية قابلاً للمعاينة على الحاسوب . ويمكن أن نقول إن الرقمنة انتقال النصوص من الفضاء الورقي إلى الفضاء الرقمي أو الالكتروني. (قاسم، (2009)، ص51). والسؤال الذي يطرح نفسه هل تعد قراءة الوعي العربي الثقافي له قيمة على مستوى الفكر العربي بعامة.

إنّ الدول المدنيّة تتعرض لغزو ثقافي، وثقافة جديدة في ثوب جديد، وهجر لثقافة عربية اسلامية، ونحن نسعى إلى واقع آخره سراب ، وما الموجة الثقافية التي يتعرض لها، وما تحدثه من تغيير في أنماط الفكر والسلوك لدى الشباب العربي لهي دليل على ضياع الأمة وتخبطها. (الهزايمة (2012) ، ص 107-108) وتعتمد الثقافة العربية في وحدتها على المعتقد الديني واللغة والتراث، وتصريح الكاتب الأمريكي (صامويل هنتنجتون) في كتابه (صدام الحضارات) أن بعض الحضارات تشكل تهديداً خطيراً للحضارة الغربية الحديثة، ومن هذه الحضارات الحضارة العربية الإسلامية.

وبالمقابل ظهرت دعوات إلى حوار الثقافات والتقريب بينها على أساس الفهم والتقدير الذي يقضي باحترام الهويات الثقافية لمختلف الشعوب، وهذا الأمر لا يسلم هو الآخر من اشتماله على أبعاد خفية تسعى لفرض هيمنات ثقافية على حساب أخرى . (الضبع، (2016) ص 15-16) والدفع بالتراث الثقافي، وإكسابه الطبيعة الرقمية لاقى استحسانا وقبولاً في الأوساط الأكاديمية إلا أنه أفرز مخاوف جدية بشأن سلامة التراث في ظل أعمال القرصنة الإلكترونية، والأساليب المتطورة في التزييف والمحاكاة. إلى جانب الاستيلاء غير الشرعي على مكونات التراث الثقافي (مقلاتي، (2022) ، ص 444) والطابع الثقافي للهوية العربية هو هوية العصر الإسلامي وتتمثل بالجانب

العقدي جاءت لعقيدة التوصية، وهي هوية خصوصيه، وفي الجانب الاجتماعي أعاد الإسلام هيكلة المجتمع وبناءه ، ونظم العلاقات بين أفراده، وفي الجانب المعرفي أضاف إلى العرب معارف جديدة أوجدها الدين، والأهم أنه فتح الباب على مصراعيه لتلقى العلوم، ورفع من شان العلم والعلماء. وفي نظام الحكم والدولة وضع الإسلام خصوصية للهوية، ونظم علاقته بكل ما حوله من الكائنات - قال تعالى : "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون" (الأنعام،آية 28). وفي جانب القضايا التنموية البشرية نظم قضايا الحريات وقضايا حقوق المرأة ، وقد مثلت هذه سمات الثقافة العربية الإسلامية والتي يجب أن يكون عليها العرب. (الضبع، (2016) ، ص 26-28) وفي ظل الظروف العالمية الراهنة والمواقف المكشوفة وغير المكشوفة يرى الباحث ضرورة التوازن، ووجود الثقافات المتكافئة التي تقف على حد المساواة في الحفاظ على خصوصيتها، ويبقى الأمر متروكا للأفراد في التوجه نحو ثقافة أو أخرى دون إكراه، وتبقى وسائل التواصل خالية من الأهداف المستورة.

ويرى الباحث أن ذلك صعب المنال في ضوء ما أشار إليه الكاتب الأمريكي (صاموئيل)، لشعورهم بأن الثقافة العربية هي الخطر الذي يهدد الثقافات لشموليته وسعة إحاطته بالجوانب الحياتية، وامتداد جذورها بين مسلمي العالم الغربي، ولا شك أن نظرة التكافؤ والوقوف على مسافة واحدة في العالم الرقمي درب من العبث.

التراث في صميم مشاريع الهيئة ضمن العصر الرقمي (إسرائيل نموذجا)

تزايدت المخاوف بشأن الأمن الفردي والجماعي في العالم، والتحرك في سبيل تأمين ممتلكات الشعوب ومواردها ، أدى إلى استيعاب التهديدات التي تقع على التراث الثقافي، والاستيلاء على تراث الشعوب، وتكريس واقع ثقافي جديد. (مقلاتي، (2022)،ص 453)

وهنا نستذكر أنشطة إسرائيل الرقمية، وتنوع اعتداءاتها على التراث العربي الإسلامي، ولم تسلم المرويات الشفوية من القرصنة والاستحواذ غير الشرعي، فإسرائيل تضم تحت القوائم المسجلة أربعة آلاف حكاية شعبية، وهو عدد خيالي، والسبب أن اليهود سجلوا معظم قصص الأنبياء، وجاء اليهود المهاجرون بحكايات من كل دول العالم فأصبحت قصصا يهودية، يضاف إلى ذلك أعمال النشر الإلكتروني يشمل أكثر من (2500) كتاب ومخطوطة إسلامية مضافة إلى موقع الاحتلال دون الإشارات إلى الإرث الثقافي الفلسطيني، وكذلك مقتنيات بعشرات الآلاف بعد احتلالها للأراضي الفلسطينية، وما تمت سرقته من مكتبات البلدان العربية. (مقلاتي، (2022)، ص455-556)

العولمة واللغات الأجنبية

يتطور العالم بسرعة، وصعب الإحاطة بتفاصيل الحراك الثقافي والتقني والإبداع العلمي، واللغة العربية جزء من هذا العالم ولغاته، ونتاجا للتطور السريع، دخلت العولمة من أوسع الأبواب إلى أعماق دول العالم النامية الناقلة لتلك الثقافات والأفكار المرتبطة بالهوية والانتماء والقومية، دون الوقوف على التأثيرات السلبية لتلك الثقافات. (القايدي،(2019)، ص 166)

إنّ تحقيق الأمن اللغوي أصبح مطلباً رئيساً لتطور الدول العربية اجتماعيا واقتصادياً، ونموا حضارياً عاماً، من هنا نؤكد على ضرورة وجود تخطيط لغوي عربي موحد نابع من الإحساس بأهمية هيمنة اللغة العربية في سياق اللغات نحو العالمية، ووضع خطط لجعل العربية لغة عالمية ، وإعداد وثيقة لغوية مشتركة تكون أساسا للمناهج المدرسية والجامعية، وإقرار اللغة العربية لغة الإعلام المسموع والمرئى. (القايدي ، (2019) ، ص160-178) .

إنّ الأمة تحتاج إلى سياسة لغوية ، فليست المشكلة في معرفة اللغة ، بل الذي يحتاجه الناس هو الكفاءة اللغوية في النطق والكتابة والتعبير، ومطلوب الغيرة الصادقة على اللغة في الوقفة الصارمة من الثقافات واللغات والعولمة التي لا تعكس سوى الانهزام والتبعية ، ويجب أن نكون على يقين أننا بحاجة إلى الأمن اللغوي كما أننا بحاجة إلى الأمن الفكري والغذائي والمائ؛ لأنه يحافظ على الهوية في مفهومها الشامل ؛ ولأن اللغة وعاء الهوية ولسان المواطنة وحاملة الموروث الثقافي والحضاري؛ لذا كانت اللغة من أولويات الأمن.

هيمنة الإنجليزية وتهديد اللغات المحلية

لا يقتصر ارتباط الهوية القوميّة على العربية ، ولا يكمن خطر الانجليزية على العربيّة فحسب، بل تعاني الشعوب من هذه الهيمنة ، ولعل فرنسا أكثر الدول مقاومة للانجليزية وهيمنتها، وقد شرعت قوانين لحماية الفرنسية من سطوة الانجليزية، فحظرت الدولة استخدام الإنجليزية في معظم مجالات الحياة الفرنسية كالإعلانات والندوات والاجتماعات ... الخ . ومن أبرز الأمثلة على تواشيح اللغة والهوية بالقومية ما جرى في يوغسلافيا السابقة، إذ ما تداعت هذه عام (1990م)، بدأ الصرب يميزون أنفسهم باللغة الصربية. ومن قبيل المفارقة أن تجد في الولايات المتحدة نفسها ، وهي قطب العولمة الأوحد ضجة حول استخدام اللغة الانجليزية كلغة رسمية، ومن الاعتراضات على ذلك أن استخدام لغة شائعة لا يضمن تجانس الأمريكيين عرقيا، إذ تضم أمريكيا أجناساً مختلفة. (خالد عن الرؤوف الجبر، (2005م) ، ص 129) وتنادى الأوروبيون إلى خطر الانجليزية على لغاتهم المحلية، وعقدوا المؤتمرات وتتلخص معظم البحوث حول آثار الانجليزية في اللغات المحلية في وسائل الإعلام، والترجمة، والتواصل الاجتماعي.

من مظاهر هيمنة الإنجليزيّة:

هيّأت العولمة للإنجليزية أن تنشر وتشيع بمعجم يشبه أن يكون كونياً، وهذا نجده في العربيّة، وهو معجم يبدأ برموز الحياة اليوميّة الأولية في التحية (Hi)، والشكر (Thank you)، والوداع (Bye)، والموافقة (Ok)، ووعد اللقاء (See you soon)..... الخ ويمتد إلى رموز الأطعمة ((Pizza Hot، (Chilli house))، وأخذت الألبسة بعض المسميات، مثل: (Jeans) و(T-shirts) ووسائل الاتصال: (Mobile) و(Message) و(Internet) و(Save) و(Format) حتى يسمي العالم ب (Mc Communication) وهذه الألفاظ لم تغظ العرب، وحدهم فبعض المفردات يستخدمها الفرنسيون مع أن لها نظائر في لغتهم. (نهاد الموسى، 2006م، ص 164)

وللحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري والديني ووقف العولمة الغاشمة، مطلوب منا:

أولا: ايقاف التطبيع الثقافي:

تعمل الولايات المتحدة أن تحصد بالسياسة والدبلوماسيّة ما لم تحصده بالحروب العربيّة الإسرائيلية، ومن المؤسف ان السلام السياسي ترافقه فاتورة ثقافية وإعلاميّة ينبغي دفعها فوراً، وتتلخص بأن يحذف العرب من وجدانهم وتاريخهم ودينهم وثقافتهم كل ما يعادي أمريكيا والغرب وإسرائيل، وكل ما يدعو للرجولة والبطولة والجهاد وكل ما يهيب بالإنسان التمسك بأرضه وعرضه ومصالحه، وربطت الإدارة الأمريكيّة مساعداتها بتنقية المناهج التعليميّة مما وصفه التقرير (بالمفاهيم الدينيّة البالية)، مثل: معاني القتال في القرآن الكريم والجهاد وغيرها. إن الواجب يدعونا نحن العرب إلى إيقاف التداعي أولاً من خلال ايقاف المخططات الثقافية السابقة الذكر، ومنع تعميمها وانتشارها أو تداولها، واستحضار ذاكرة العربي الغنيّة بالقيم والمثل التي تمثل كبرياء العرب.

(فلاح كاظم المحنة، 2002م، ص276)

ثانياً: الانتماء الثقافي والوطني:

وتعد البلاد العربيّة عرضة لعدد من القوات الغازية خلال الحقب التاريخية، وتضافرت تلك الشعوب أو حافظت على هويتها الثقافية، وحمتها من الذوبان في ثقافة الغزاة، ومطلوب منا الحفاظ على الإرث الثقافي والديني، وتبني القيم والمثل التي كبرت في نفوس أجدادنا.

(محيي محمد سعد، 2006م ، ص118)

ثالثاً: تعزيز الأمن الثقافي والسياسي والاجتماعي للدول العربية وصيانة قيمها الحضارية، فنعيد بناء البنية الأساسية الإعلاميّة للحد من الآثار الضارة للاحتكار الدولي الإعلامي، والعمل على إعادة الثقة بقيمنا، وإبعاد شبح التبعية من نفوس أبنائنا. وتؤكد الأحداث الجارية في فلسطين حجم المؤامرة على القيم الحضارية العربيّة الأصيلة بربط العديد من الأحداث الدائرة والمشروعة للدفاع الفلسطيني عن الوطن والأرض بالإرهاب والتخلف ومحاولة ترسيخ مغالطات ترتبط بالحضارة العربيّة في فكر الرأي العالمي من الشرق والغرب.

رابعاً: القضاء على فكرة الإختراق الثقافي والفكري، وتحقيق ديمقراطية الاتّصال بين مجتمعات الدول المتقدمة في العالم والدول الناميّة، وتحقيق التوازن الإعلامي في ظل النظام الجديد، وهذا لا يتأتى إلاّ من خلال منظومة إعلاميّة مدروسة ومنظمة. والعرب مجبرون على إقامة جبهة دفاعيّة هجوميّة في معركة الثقافة والفكر، سيكون لها الأثر في تلك الحرب الدائرة والمستمرة، والتي تشترك فيها وتنفرد دول الغرب المتقدم، باستخدام تفوقها في صناعة الخبر والبرامج المتنوعة من دراميّة ثقافية وسياسية. تؤثر سلباً على الأمن الثقافي والقومي، وتؤثر على الفرد بمقوماته الثقافية والفكريّة اللازمة. (نسمة أحمد البطريق، 2004م، ص24)

خامساً: إحياء التراث العربي وتجديده:

يحاول أعداء العرب تهميش دور الدين والقوميّة واللغة في حشد العرب حول قضاياهم واتحادهم، وبث سموم الفرقة بينهم وتيئيسم والزعم بأن اجتماع العرب مستحيل، ونسي هؤلاء المشككون أن العرب مروا في مراحل تاريخهم الطويل بحالات الازدهار مثلهم كمثل أي أمّة أخرى كالألمانية والرومانية والصينية،غير أنهم لا زالوا يجتمعون عند لغتهم، يتحدثون بها ويقيمون الندوات والمؤتمرات، ويطول ذلك كل فئات الشعوب العربية، ولا زال العربي يؤمن بالقوميّة العربيّة التي لم تصل إلى حد القطيعة بين الشعوب العربيّة.

الخاتمة:

الأمن عنصر من عناصر التنمية البشرية، وهو من الحاجات الرئيسة لتحسين نوعية الحياة، وتكافل الأفراد في الوطن الواحد ضد الهيمنة والذوبان، والأمن اللغوي والثقافي العربي مطلب عام للحفاظ على الكيان العربي وهوية، واللغة حاضنة للثقافة والفكر والحضارة والدين، فالأمن اللغوي هو جزء من الأمن القومي والهوية العربية، وزادت التحديات على الأمة في ظلّ العولمة والتقهقر في مجالات عدة، مما دفع الآخرين لمحاولة طمس هوية الأمة، وضياع إرثها الثقافي والديني، والتلاعب بنسيجها الاجتماعي لقطع الأواصر بين الأمة العربية التي تجمعها من هنا توصلت الدراسة إلى:

أولاً : سنّ قوانين الحماية للغة العربية بحيث لا يجوز الترخيص لأي مؤسسة تعليمية وحتى الأجنبية منها إلّا بتدريس اللغة العربية.

ثانيا : اعتماد اللغة العربية لغة التعليم في المراحل الدراسية كافة.

ثالثاً: تسمية المحلات والشوارع والساحات العامة والسياحية وما يتعلق بالحياة العامة كلّها باللغة العربية.

رابعا: تطوير المحتوى الرقمي على الشابكة، والعمل فيه بجهد عربي جماعي.
خامساً: فلترة الوسائل الإعلامية وقنوات والتواصل الحديثة قبل وصولها إلى شبابنا.
سادساً: وضع تخطيط لغوي ينسجم مع التطور التقني والتكنولوجي ليتلاءم مع حركة التقدم والتطور العالمي.
سابعاً: اللغة حاضنة للفكر والثقافة والدين والحضارة ، وأمن الأمة اللغوي والفكري والثقافي يتحقق بالحفاظ على اللغة.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم.**
- البطريق، نسمه أحمد: الإعلام والمجتمع في عصر العولمة دراسة في المدخل الاجتماعي، القاهرة، دار غريب، 2004م.
- حسين، طه: نقد وإصلاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1956م.
- سالم، محمد عنان: الكتاب العربي وتحديات الثقافة ، ط1 ، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996م.
-السيف، ناصر بن سعيد: الهوية والثقافة، بحث منشور 1435ه.
- الضبع ، محمود : الثقافة والهوية والتكنلوجيا، (د.ط) ، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2016م.
- عزّوز، احمد: الأمن اللغوي وإستراتيجية النهوض باللغة العربية وثقافتها عند الدكتور عبدالسلام من خلال كتابه (الهوية العربية والأمن اللغوي) دراسة وتوثيق، 2018م.
-ابن فارس، أحمد: الصاحبي: فقه اللغة العربيّة ومسائلها، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1997م.
- قاسم جمال : النص الأدبي من الورقية إلى الرقمية (آليات التشكيل والتلقي)) رسالة ماجستير ، إشراف أحمد حيدوش، الجمهورية الجزائرية ، معهد اللغات والأدب العربي، 2009 .
-القايدي ، آمنه مصبح: التخطيط والأمن اللغوي، المؤتر الدولي الثامن للغة العربية، 2019م.
- كوش ، دنيس : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني ، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، 2007م. - المسدي ، عبد السلام : الهوية العربية والأمن اللغوي ، ط1 ، قطر ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2014 م.
-المجلس الأعلى للغة العربية: الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، (د.ط)، الجزائر، 2018م.
-مجموعة من الكتاب: الأمن الثقافي، ط1، مطبعة جولدن سيتي، الإمارات العربية، 2019م.
- المحنة، فلاح كاظم: العولمة والجدل الدائر حولها، عمان، مؤسسة الورّاق، 2002م.
- المرزوقي، علي الهادي: الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره ، ونتائجه)، مجلة الآداب، الجامعة المفتوحة ـ ليبيا، العدد 12، 2018.
مسعد، محيي محمد: الإسلام وتحديات العولمة، الإسكندرية، مركز الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ط1، 2006م.
- مقلاتي، مونه : التراث الثقافي في ظل التطور الرقمى وجهود الحماية القانونية، الجزائر مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 15 ، العدد 1، 2022.
- الموسى، نهاد: اللغة العربيّة في العصر الحديث قيم الثبوت وقيّم التحول، عمان، دار الشروق، 2006م.
-نصار، سامي محمد : قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة ، ط1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، 2005م.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 1083-1093

- آل الهادي ، جمال حسين : أمن الطفل اللغوي في وسائل الإعلام، المؤتمر الدولي الثامن اللغة العربية، 2019م.
-هارلمبس وهولبورن: سوشيرلوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد محسن ، ط1 ، دراكيوان، دمشق، 2010م.
- الهزايمة، محمد يوسف: العولمة الثقافية واللغة العربّية (التحديات والآثار)، ط1، عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، 1433هـ، 2012م.
- وهدان عمرو : العربية والعولمة معالم الحاضر وآفاق المستقبل في ضوء الثقافة العربية والهوية الإسلامية، مؤسسة مورس الدولية، 2010م.

Cultural and linguistic security in the era of digitization

Dr. Ahmad Basharat Al-Quds Open University.
absharat@qou.edu

Abstract:

Culture is a general framework that brings together the people of the same nation, unites their thinking, and makes them defend their cultural components. Cultural security is formed from the heart's sense and awareness of belonging to a particular nation or people. Therefore, culture preserves the unity of its children, and cultural practices diversify and intersect with nations in light of the era of digitization, and through cultural identity, the nation proves itself. And its existence and fortify its self, cultural and historical identity.

Cultural digitization, with its good deeds and good fruits, carries fears over the civilizations of nations and their gains, and confusion may be mixed with bombs, and the dye of power prevails over culture, and globalization spreads from its widest gates.

The danger to our nation lies in its weakness in the areas of progress in its various aspects. From here, the subject of the study will be Arab cultural security, which deals with: linguistic security, equal culture, and globalization, which is the culture of normalization with control and hegemony. The study will present some examples in which the cultural security breach occurred, namely: social media, areas of life, and educational institutions.

Keywords: Cultural security, digitalization, globalization, linguistic security.